

8
قصص
المبشرون
بالجنة
سلوى العنانى
أمين
الأمة
دار الطائف
للنشر والتوزيع

أمين الأمة

(أبو عبيدة بنُ الجراحِ)

صدق الله وعده وانتصر المسلمون فى بدر .. وعاد من بقى من فرسان قريش يجرون هزيمتهم ، ويبكون قتلاهم ويرسلون فى فداء أسراهم .. إلا أن روح الثأر فى قلوبهم كانت تشتعل فى كل يوم لتأجيج هذه الرغبة فى قتال المسلمين ..

أعدت قريش العدة .. ثلاثة آلاف مقاتل .. وزودتهم بالسيوف والنبال .. يمتطون ظهور مائتى فرس ، وثلاثة آلاف بعير حاملين معهم من الزاد ما يكفيهم ..

وسط هذه الحملةَ الضخمَة حملت الهوادج[1] عددا من النساء ، جئن يلهبن حماس المقاتلين ويشعلن فيهم نار الثأر ، وفوق أحد هذه الهوادج كان صنم كبير من أصنامهم

(1) هوادج : جمع هودج وهى خيمة صغيرة تثبت على ظهر الإبل وتخصص عادة لجلوس النساء .

قد زُين بالقلائد والحلى ..

ووصل الخبرُ إلى النبيّ وصحبه فى المدينـة ، وعلمـوا أن قريشًا تعسكر بالقرب من جبل (أحد) علـى مسـافة خمسـة أميالٍ من المدينة ..

اجتمع المسلمون يتدارسون الموقفَ .. وانتهى رأيُـهم إلى وجوبِ الخروج لملاقاة كفارِ قريشٍ عند (أُحد) ..

كان اليوم الجمعة الرابع عشر من شوال .. صلـى النبى بالمسلمين ، ثم خرج إلى (أحد) مع سبعمائةِ مقاتلٍ .. وبـدأ ينظم قواتِه ..

ومع صباحِ السبتِ الخامس عشر مـن شـوال سـار بـهم فوضع خمسين من الرماة على ممرَّات الجبلِ ، وقال لهم :

"احموا لنا ظهورنَا فإنا نخاف أن يجيئونا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخـل عسكرهم فلا تفارقوا مكـانكم ، وإن رأيتمونـا نُقتَـلُ فـلا

تعينونا ، ولا تدافعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلَهم بالنبل ، فإن الخيلَ لا تقدم على النبلِ" .

والتقى الجيشان : جيشُ المسلمين بعدده القليلِ وعدَّتِه المتواضعة وإيمانِه القويِّ .. وجيشُ قريش بفرسانِهِ وخيولِهِ وأسلحتِه ..

وكان النصر للسلاح الذى لا يقهر .. للإيمان بالله وبرسولِهِ وبالدينِ الذى نزل من السماءِ ليخلص أهلَ الأرضِ من الظلمِ والعبوديةِ ..

وتراجع أبطالُ قريش الذين كانوا مضربَ الأمثالِ بين العرب فى القوة والشجاعةِ أمامَ قوةِ المسلمينَ .. ولاذوا بالفرارِ .

وتتبع المسلمون فلولَ الكفارِ الهاربةَ مخلِّفةً وراءها غنائمَ لا حصر لها .. فلما رأوا هذا الخيرَ انصرفوا عن إتمامِ ملاحقةِ العدوِّ للفوزِ بالغنائم .. بل إن الرماةَ الذين أمرهم

رسولُ اللهِ من قبل ألا يبرحوا مكانَهم مهما كان الأمرُ .. ما كادوا يرون زملاءهم يتكاثرون على الغنائم حتى جرى عددٌ كبيرٌ منهم للحاق بأنصبتهم ..

فلما رأى المشركون التفافَ المسلمينَ حولَ الغنائم عادوا إليهم .. ودارت الدائرةُ .. وألقى المسلمون بما فى أيديهم وعادوا إلى القتالِ ..

لكن هيهات أن يستطيعوا لَمَّ الشَّمل وتنظيمَ الصفوفِ .. عم الهرجُ ، واتجه العدوُّ ناحية الرسولِ يبغى الخلاصَ منه للقضاء على دعوة الإسلام من جُذورها .. وأشاع البعْض مقتلَ النبى .. إلا أن هناك مجموعةً من المؤمنين أقوياء الإيمان كانت التفت حولَ الرسولِ تدافع عن دينها وعن نبيها ، وكان كلُّ رجلٍ منهم يحملُ فى قلبهِ وساعدَيْه عشراتِ المقاتلين ..

فَمِنْ هؤلاء (علىُّ بنُ أبى طالب) و (أبو بكر الصديق) و (عمر بنُ الخطاب) و (سعد بنُ أبى وقاص) و (أمُّ عمارٍ

الأنصاريةُ) و (أبو دجانـةَ) و (كعـبُ بـنُ مـالكٍ) و (أبـو عبيدةُ ابنُ الجراحِ) ..

التفَّ هؤلاءِ الصحابةُ وغيرُهم حولَ رسولِ الله يصـدون عنه هجومَ كفارِ قريشٍ المسمومَ .. بينما هم ينسحبون بعيدًا عن بؤرةِ القتالِ ..

التف (عليٌّ) كرم الله وجه فرأى الـدَّمَ يسـيلُ مـن وجـه النبي وهو يمسحه بيده الكريمةِ ويقولُ : "كيف يفلـح قـومٌ خضَّبوا وجهَ نبيهم ، وهو يدعوهـم إلى ربِّـهم؟" .. فأسـرع إليه بالماءِ يغسلُ به الوجهَ الطاهرَ ...

إنهما حلقتان من (المغفر)[1] الذى كان النبى يغطِّـى بـه رأسه وقد انغرستا فى وجههِ الشريفِ فأسالتا دمه الزكـى ، ويسرع رجلٌ من أهلِ الجنة إلى النبى فيقبض علـى الحلقةِ الأولى بأسنانه فينتزعها ليسقط على الأرضِ ، وتسقطَ معـا

(1) المغفر : لباس لرأس المحارب يصنع من حلقات حديدية متشابكة .

(ثنيتاه)[2] .. ثم ينتزعُ الحلقةَ الثانيةَ فتسقطُ معها ثنيتهُ الثانيةُ ..

فمن هو هذا الرجلُ .. التقىُّ المؤمنُ الذى ملأ الإيمانُ قلبَهُ ، فدفعه حبُّه للنبى لأن يقومَ بما قام به دون تفكيرٍ أو ترددٍ .

ولندع للصدِّيق (أبى بكر) يصف لنا هذه الواقعةَ :

"لما كان يومُ أحدٍ ، ورُمِىَ رسولُ الله عليه السلامُ حتى دخلت فى وجنته حلقتان من المغفرِ ، أقبلت أسعى إلى رسول الله عليه السلام ، وإنسان قد أقبلَ من قِبَلِ المشرقِ يطيرُ طيرانا ، قلت اللهم اجعله طاعةً ، حتى إذا توافينا إلى رسول الله إذا هو أبو عبيدَةُ بنُ الجراحِ قد سبقنى ، فقال : أسألُكَ بالله يا أبا بكر أن تتركنى فأنزعها من وجه رسول الله عليه السلامُ ، فتركته ... فأخذ أبو عبيدةُ بثنيته إحدى حلقتى المغفر ، فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته

(2) الثنيتان : السنتان الأماميتان .

معه ... ثم أخذ الحلقةَ الأخرى بثنيته الأخرى فسقطتْ ... فكان أبو عبيدة فى الناس (أشرم)[1] ..

إنه أبو عبيدة عامر بنُ عبد اللهِ بن الجراحِ .. أحدُ الستة السابقين الأوائلِ الذين دخلوا الإسلامَ على يدى أبى بكر الصديق ..

آمن أبو عبيدَة بمحمد نبيا ورسولا وبأن اللهَ واحدٌ قادرٌ لا شريكَ لـه .. ومنـذ اليـومِ الأولِ أظهر ولاء لا يواتيـه ولاءٌ بهذا الدينِ ولرسولهِ .

عندما اشتد وقعُ الاضطهادِ على المسلمين من كُفَّارِ مكـةَ نصح الرسـولُ عليـه السـلامُ عـددًا مـن أتباعـهِ بـالهجرة والتفرقِ فى الأرضِ فرارًا بدينهم ... واختـار لهـم الحبشـةَ مهجرًا .. لماذا؟

"فإنها بها ملك لا يُظلم عنده أحدٌ ، وهى أرضُ صـدقٍ ، حتى يجعلَ اللهُ لكم فرجا مما أنتم فيه" ..

---

(1) الأشرم : هو الشخص الذى كسرت أسنانه الأمامية وأثرت على نطقه لبعض الحروف .

هكذا رأى رسول الله ..

فهاجر فريقٌ مكونٌ من أحدَ عشـرَ رجـلاً وأربـعِ نسـاءٍ ، خرجوا سرا حتى لا يشعرَ بـهم أحـدٌ ، واتجـهوا إلى حيثُ نصحهم رسولُ اللهِ .. إلى الحبشةِ .

وهناك قضوا عدةَ سنواتٍ ، ثم عادوا ظنًا منهم أن أحوالَ المسلمين قد تحسنت فى مكة .. إلا أنهم رأوا فـى عودتـهم استمرارًا للظلم والاضطهادِ والتعذيـبِ ، فخرجت قافلةٌ ثانيةٌ مهاجرةً إلى الحبشةِ ضمـت حـوالى ثمانين رجـلاً غير نسائهم ..

كان أبو عبيدة بنُ الجراحِ واحـدًا مـن هـؤلاءِ المهاجرين الأوائلِ إلى الحبشةِ ، وظل هناك مع مجموعةِ المسلمين إلى أن هاجرَ النبيُّ وأصحابُه إلى (يثرب) فعادوا إلى جـوار رسـولِ الله ..

شعر الرسول بمدى إخلاص أبى عبيدةَ لدينه ، وعقيدته ،

ونبيه ، فأعجب بخصالهِ وسلوكهِ حتى إنه قال :

"أمين هذه الأمةِ ، أبو عبيدَة بنُ الجراحِ" .

حارب أبو عبيدة إلى جوارِ رسولِ الله فى (بدرٍ) (وأحدٍ) وغيرهما من المشاهد والغزوات .. وبرزت ثقة النبى فى شخص أبى عبيدة يومَ أتى وفد (نجران) من اليمنِ إلى النبى يعلن الإسلامَ وينطق بالشهادةِ .. ثم سألوه أن يبعثَ معهم من المسلمين الأوائل منْ يعلمهم أمورَ دينهم من القرآنِ والسنةِ ..

فقال رسولُ الله عليه السلامُ :

"لأبعثن معكم رجلاً أمينًا .. حقّ أمين .. حقّ أمين .. حقّ أمين" .

ساعتها تمنى كلُّ واحدٍ من الصحابةِ أن يكون صاحبَ هذه الشهادةِ .. فمن لا يتمنى أن يشهدَ له النبيُّ بأنه (حقّ أمين) ويكررها ثلاثا .

وبعد أن صلى النبى بالمسلمين أشار إلى أبى عبيدة بن الجراح وقال :

"اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه" .

وذهب أبو عبيدة إلى اليمن .. يعلّمُ المسلمين أمورَ دينهم .. ويحكم فيما اختلفوا فيه ويدعو إلى سبيل الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ .. فدخل الإسلامَ على يديه عددٌ كبيرٌ من الناسِ ..

سافر أبو عبيدة إلى الشام ضِمنَ حملةٍ حربيةٍ كان يقودها (خالد بنُ الوليدِ) .. فأبلى بلاء حسنًا ، رغم أنه كان أكبر سنا من خالد وأسبق منه إلى الإسلام ، إلا أن القيادة والإمارةَ لم تكن من ضمن أحلامه .. كان حلمه الوحيد هو إعلاء كلمةِ الله ونشر دين الإسلامِ .

وبينما كان (خالد بنُ الوليد) يقودُ رجاله فى موقعة مهمة وحاسمةٍ فى بلادِ الشام .. أرسل الخليفةُ عمر بنُ

الخطابِ برسالةٍ إلى أبى عبيدة يعهد إليه فيها بقيادة جيشِ المسلمين ..

ورأى الصحابى التقى الورعُ (أبو عبيدة) أن هذا الوقتَ غيرَ مناسب لإبلاغ خالدٍ بمضمونِ رسالةِ أمير المؤمنين .. فكتمها وأمر حامل الرسالةِ بكتمانها حتى انتهت المعركةُ بنصر المسلمين ، فاتجه إلى خالد وقدَّم له رسالةَ أمير المؤمنين .. وتعجب خالدُ وسأله :

"يرحمك الله يا أبا عبيدَة .. ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتابُ" .

فأجابه : (أمين الأمة) ـ كما أسماه رسول الله عليه السلام :

"كرهت أن أكسر عليك حربَك .. وما نريدُ سلطانَ الدنيا .. ولا للدنيا نعمل .. كلنا فى الله إخوةٌ" ..

ويتسلَّم ابنُ الجراح الرايةَ من ابنِ الوليدِ ويقودُ جيوشَ المسلمين فى عديدٍ من المعاركِ ، وأصبح يحارب تحت قيادته

عديدٌ من القادةِ الكبار فأطلقوا عليه اسم (أمير الأمراء) ..

ولما شاعت عنه هذه التسميةُ تألمت نفسُه فقد كان يعيش بين جنوده ، وأتباعهِ ، كواحدٍ منهم لا يتميز بلباسٍ ، أو القابٍ ، أو طعامٍ .. ثم أراد أن يوقف هذا (الامتياز) أو (اللقبَ) الذى منحه إياه الناسُ فوقف فيهم خطيبا ...

"أيها الناسُ .. إنى مسلمٌ من قريشٍ .. وما منكم من أحد ، أحمر ، ولا أسود ، يفضلنى بتقوى الله إلا وددت أنى فى إهابه"...

هنيئًا لأهل الشام بحاكمٍ زاهدٍ ، عادلٍ ، قانتٍ ، عابدٍ مثل أبى عبيدة بنِ الجراحِ ... كانت البلادُ تعيشُ ثراء ما بعده ثراء .. وبدأ الناس يعتادون البذخ والنعيمَ والترفَ .. لكنه كان كما أحب أن يكون ..

زراه الخليفةُ (عمر بنُ الخطابِ) فى منزله يوما وهو أميرٌ على الشامِ فتعجب أميرُ المؤمنين مما رأى ..

فليس فى الدار من الأثاثِ شىء .. ليس هناك إلا عدةُ الجهادِ .. السيفُ والترسُ[1] والراحلةُ .. ويتمتم الخليفة فى نفسِهِ ..

"ألا اتخذت يا أبا عبيدة لنفسك مثلما يصنعُ الناسُ" .. لكنك أبو عبيدة بنُ الجراحِ .

لما بلغ أميرَ المؤمنين (عمرَ بنَ الخطابِ) نبأ وفاة (أبى عبيدة ابنِ الجراحِ) ، جرت دموعه غزيرةً لفقد زميلِ الكفاح وشريك النضالِ فى سبيلِ الدعوة وقال :

"لو كنت متمنيا .. ما تمنيت إلا بيتا مملوءًا برجال من أمثالِ أبى عبيدة" .

---

(1) الترس : هو كل ما يتقى به المحارب مثل الدروع وغيرها .

